إِنَّ الْحَمْدَ لِلهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ}

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا}

أَمَّا بَعْدُ

فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ

ثم يا معاشر الفضلاء في فجر هذا اليوم؛ يوم السبت الأول من شهر صفر من سنة تسعٍ وثلاثين وأربعمائة وألف من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، وفي مسجد النبي صلى الله عليه وسلم نعقد هذا المجلس لشرح كتابٍ من أنفس الكتب وأنفع الكتب، لا يستغني مسلم عما ورد فيه من مبان عظيمة وأصول كريمة، نجتمع في هذا المجلس لشرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ﷻ وسائر علماء المسلمين.

وعندنا هنا [مؤلِّف] و [مؤلَّف]:

أما [المؤلِّف] فهو شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ﷻ، وهو أشهر عند طلاب العلم من أن يعرف به، وهو معروف اسمه حتى عند عامة المسلمين، وهو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام المشهور بابن تيمية، وابن تيمية لقب جده الخامس، فعُرفت أسرته بهذا، وصار يقال لهم آل تيمية، وملقبٌ بتقي الدين، فهو تقيُّ الدين ابن شهاب الدين بن مجد الدين، وهذه الألقاب تدل على علوِّ منزلة هذه الأسرة في العلم، والتدين، والشرف، فشيخ الإسلام ملقبٌ بتقي الدين، وأبوه ملقبٌ بشهاب الدين، وجدّه ملقبٌ بمجد الدين أبي البركات، كذلك يُعرف بشيخ الإسلام، ومن قرأ في سيرة هذه الإمام يجد عَجباً عُجاباً، فقد نشأ من صغره على العفاف والتصوّن والبعد عما يغضب الله سبحانه وتعالى، وكان لهذا أثر عظيم في البركة في حياته والخير والنفع الذي حصّله وحصل منه، رحمه الله رحمة واسعة، كان رحمه الله شديدَ الحفظ، قويَّ الحفظ، فكان سريع الحفظ، وكان قوي الحفظ حتى قيل فيه: إنه ما حفظ شيئاً فنسيَه، وكان رحمه الله حافظاً متقناً للقرآن، وكان ذا عناية كبرى بالتفسير، وكان له درس مشهورٌ مشهودٌ في التفسير، وكان من أشهر دروسه، وقد برع رحمه الله عز وجل في هذا العلم براعة فائقة، وكان يلقي في درسوه علما متينا ولا سيما ما يتعلق بالمأثور عن الصحابة والتابعين في التفسير.

ذُكر أنه رحمه الله كان إذا جلس للدرس أغمض عينيه وأملى على الناس العلم الغزير، فيما يملأ كراسين أو أكثر، حتى إذا فرغ من درسه فتح عينيه وأقبل على الناس يكلمهم، ويسمع أسئلتهم ويجيبهم.

كما كان رحمه الله عز وجل على معرفة فائقة بالسنّة روايةً ودراية، فكان حافظاً عارفاً، حتى قال عنه الحافظ الذهبي رحمه الله وهو من كبار حفاظ الحديث قال عن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يصدق عليه أن يقال: كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث، لكن الإحاطة لله عز وجل ، وهذا يدل على سعة حفظ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسعة معرفته بها، كذلك كان شديد الحفظ للآثار عن الصحابة، والسلف الصالح رضوان الله عليهم، ويدلك على ذلك أنه ربما كتب رسالة في مائة وثمانين صفحة ملأها بالاستدلال بالقرآن وبأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بألفاظها، وبآثار الصحابة والتابعين بألفاظهم، وبالعزو إلى الأئمة والعلماء، ثم يذكر في آخر هذه الرسالة أنه كتبها وصاحبها مستوفز عجلان، لو قرأت هذا- وهذا موجود في رسالة في مجموع الفتاوى رسالة في حوال مائة وثمانين صفحة- لو قرأت ما كتب لظننت أن شيخ الإسلام أخذ أياما طوالا يحرر هذه الرسالة ويراجع، ولكنه كتبها في قعدة واحدة وصاحبها الذي يريدها مستوفز عجلان، كتب هذا كله من حفظه، وإذا راجعت وجدت أنه نقل ما نقل بالألفاظ، ولا يكاد يخطئ في لفظ رحمه الله رحمة وسعة، وكان شديد الحفظ للكتب، حتى ذكر العماء أنه إذا قرأ كتابا لا يحتاج أن يرجع إليه مرة أخرى، وقال بعض أهل العلم: رأس ابن تيمية قبة ملئت كتبا، ما قالوا: ملئت علما، لا شك أنها ملئت علما، لكن لحفظه للكتب واستحضاره لها قالوا ملئت كتبا.

وكان رحمه الله عز وجل يعرف حتى كتب مخالفيه، وكان أعرف بكتب مخالفيه منهم رحمه الله رحمة واسعة.

وقد فتح الله عليه في التدريس والتأليف، فألّف كتباً كثيرةً جدا لا تكاد تحصر من كثرتها، وقد أحصى بعضهم فيما استطاع ألفي كتاب ورسالة، ولكن كتب شيخ الإسلام رحمه الله تزيد عن هذا بكثير، وقد كانت له عناية بالتأليف في العقيدة، ولم تكن له عناية بالتأليف في الفقه ولما ذُكر له هذا، قال: أمر الفروع سهل فإذا قلد المسلم إماما من أئمة المسلمين فإنه على خير ما لم يَتيقن خطأه فإنه ينتقل عن قوله، لكنّ الأصول والعقيدة قد كتب فيها المخالفون كثيرا وأدخلوا فيها ما لا يجوز أن يُعتقد، وليس فيها سعة، بل الأمر فيها واحد قد أجمع عليه السلف، ولذا كانت عنايته رحمه الله بالتأليف في العقيدة نصحاً للمسلمين، وتنقيةً لها، وإعادةً للمسلمين في عقيدتهم إلى ما أجمع عليه أهل القرون المفضلة الثلاثة الأوَل إلى عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم، فكان رحمه الله مكثرا من التأليف في أصول الدين أو الأصول والعقيدة.

أما [المؤلَّف]: فاسمه العقيدة الواسطية، ولو شئت أن تطلق عليه عقيدة الفرقة الناجية، أو اعتقاد الفرقة الناجية، أو أن تطلق عليه عقيدة القرون المفضلة، أو العقيدة السلفيّة، أو العقيدة السنيّة، أو العقيدة المحمديّة، أو عقيدة أهل السنة والجماعة، أو العقيدة الوسطيّة، لكنت مُحقاً، فهذا الكتاب جدير بكل هذه الأسماء وفيه إشارة إليها، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أن هذا هو اعتقاد الفرقة الناجية، وأهل السنة والجماعة، وعقيدة محمد صلى الله عليه وسلم، وبنى هذه العقيدة على الوسطية، لكنَّ الاسم الذي اشتهر به الكتاب هو: العقيدة الواسطية، وهذا الاسم ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية لهذا الكتاب في وصف مناظرة مشهورة له حيث أن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله لما كان يدعو الناس إلى عقيدة السلف وإلى السنة وإلى ترك ما أحدثه المحدثون في العقيدة أصبح يُكذَب عليه ويُنسب إليه في العقيدة

ما لم يقله كعادة المناوئين لعلماء أهل السنة في كل زمان و مكان، فإن المخالفين لعلماء أهل السنة لما أعجزهم أن يقابلوا حجة أهل السنة بالحجة والبرهان لجأوا إلى حيلة الشيطان بالكذب عليهم والبهتان، ونسبة أمورٍ إليهم تنفّر العامة عنهم، وهكذا في كل وقت، كما نراه في زماننا هذا فإنك تجد أن المخالفين لعلماء أهل السنة والجماعة يلقبونهم بالألقاب المنفّرة وينسبون إليهم ما هم برآء منه من الأقوال والأفعال بل ويصلون إلى النيات والمقاصد.

شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كُذب عليه ونُسب إليه في العقيدة ما هو بريء منه، فعُقِدت مناظرة في مجلس الأمير لمناقشة شيخ الإسلام في عقيدته، فلما انعقد المجلس وطلب منه أن يملي عقيدته قال رحمه الله: إني لو أمليت من حفظي لخشيت أن أُتهم بأنّي كتمت بعض عقيدتي من أجل هذه المناظرة، لكن هناك رسالة كتبتها قبل نحو سبع سنين، نُحضرها ونُقرأ، فقال رحمه الله: فأرسلت من أحضرها ومعها كراريس بخطي من المنزل، فحضرت **العقيدة الواسطية**، ولما أُحضر الكتاب أمر الأمير قارئاً أن يقرأها، فقرئت في ذلك المجلس.

وهذا الاسم مكوّن من كلمتين: [العقيدة] و [الواسطية]

أما العقيدة في اللغة: فهي من العقد وهو: الربط والشدّ بقوّة، ويدلّ معناها في اللغة على الالتزام والتأكيد والإحكام، يدل معنى العقيدة في اللغة على الالتزام: أنها ملتزَمة، وعلى التأكيد:فهي متيقنة مؤكَّدة، وعلى الإحكام.

وأما العقيدة بمعناها العام-يقال عقيدة الإنسان أو أعتقد كذا-: هي الحكم الجازم الذي لا يقبل الشك، فإذا علم الإنسان حكما عِلْما جازماً لا يقبل الشك ولا الريب فإنه يقال: اعتقد، وهذه عقيدة.

والعقيدة الإسلامية هي: ما يجب أن يعقد المؤمن قلبه عليه بيقين، وهي: الإيمان بأركان الإيمان، وما يتعلق بها، وتوابع ذلك مما يميّز أهل السنة والجماعة.

العقيدة الإسلامية إذا أُطلقت فإنه يراد بها عقيدة السلف عقيدة أهل السنة والجماعة، العقيدة المأخوذة من القرآن ومن سنة سيّد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم، فهي الحقيقة والجديرة بأن تسمى بالعقيدة الإسلامية، وهي كما قلنا الإيمان بأركان الإيمان وما يتعلق بها من أصول، وما يميّز أهل السنة والجماعة عن غيرهم، هذه مباحث العقيدة لا تخرج عن هذا، [أركان الإيمان الستة وما يتعلق بها من أصول عند السلف، وما يميّز أهل السنة] وما يميّز أهل السنة عن غيرهم من الفرق أدخله العلماء في العقيدة وجعلوه من العقيدة، ولو كان مسألة فقهية، مثل مسألة لبس الخف والمسح عليه، هذه مسألة يذكرها العلماء في العقيدة لأنها تميز أهل السنة عن غيرهم، وكذلك الأخلاق الحقيقية الصادقة التي تُبذل لله عز وجل، فإن التخلق بالأخلاف الحسنة حقاً وصدقاً الذي يبذَل لله عز وجل فيعطى لمستحقه يميز أهل السنة عن غيرهم، فإن غير أهل السنة والجماعة قد يتظارهون بالأخلاق لكنه ليس لله عز وجل وإنما لما يخدم هواهم، ولذلك تجدهم أسوأ الناس خلقا مع أهل السنة، بل ومع علماء أهل السنة، بينما يتظاهرون بحسن الخلق مع العوام والمخالفين في العقيدة وغير ذلك.

ولذلك لا تعجب من ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله للأخلاق في آخر هذا الكتاب، لأن هذا مما يميز أهل السنة والجماعة على الوجه الذي ذكرناه.

فهذه هي العقيدة.

و[الواسيطية] نسبة إلى واسط من العراق، وسبب تأليف هذا الكتاب بيّنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله بنفسه في المناظرة التي أشرنا إليها حيث قال: قلت لهم هذه أي الرسالة كان سبب كتابتها أنه قدم عليّ من أرض واسط بعض قضاة نواحيها، شيخ يقال له: رضي الدين الواسطي من أصحاب الشافعي-فهذا الرجل فقيه شافعي، وشيخ وقاض، ذهب إلى الحج فقدم على شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله- قال: قدم علينا حاجّاً وكان من أهل الخير والدّين، وشكا ما الناس فيه بتلك البلاد -أي: واسط وما حولها- وفي دولة التتر من غلبة الجهل والظلم، ودروس الدّين والعلم، -معلوم أنّ شيخ الإسلام ابن تيمية كان في وقت وجود التتر حتى أنه انتقل من حرّان إلى دمشق مع أهله وهو صغير فراراً من التتر ومن بغيهم وظلمهم وجملهم

فهذا الشيخ الواسطي -صاحب الديانة- كان يؤلمه ما يراه في بلده من جهل وظلم وخرافات وقلة ديانة وقلة علم، فشكا ذلك -كعادة أهل الخير والدين- شكا ذلك إلى شيخ الإسلام ابن تيمية**رحمه الله** - قال: وسألني أن أكتب له عقيدة تكون عمدة له ولأهل بيته -وهكذا الأخيار أهم أمورهم العقيدة، أن تسلم لهم العقيدة، وأن تصح لهم العقيدة- قال: فاستعفيت من ذلك -طلبت منه أن يعفيني من ذلك واعتذر له- قال: وقلت قد كتب الناس عقائد متعددة فخذ بعض عقائد أئمة السنة -خذ كتابا من كتب العقائد التي ألفها أئمة السنة وكلها واحدة، عقيدة أهل السنة لا تختلف ولا تضطرب وإنما يختلف المؤلّفون في ألفاظهم أما العقيدة واحدة لأنها عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم- قال رحمه الله: فألح علي في السؤال -يعني كما نقول بتعبيراتنا اليوم: لزّم- أن أكتب له وقال: ما أحب إلا عقيدة تكتبها أنت -ما أحب أن أقتني كتابا إلا كتابا في العقيدة تكتبه أنت- فكتبت له هذه العقيدة وأنا قاعد بعد العصر.اهـ

هذه العقيدة المحكمة المتقنة كتبها شيخ الإسلام في جلسة بعد العصر، ونحن نحتاج في فهمها وشرحها إلى مجالس كثيرة، وساعات طويلة، ولن نحيط بمقاصد شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله منها وفيها، فذاك العلم وأولئك العلماء.

وهذا الكتاب له مزايا على غيره تجعل طالب العلم يتعلق به، والموفق من حفظه، من تلك المزايا:

*أنه قليل المبنى عظيم المعنى، فهو صفحات قليلة لكنه كثير الفائدة، عظيم العائدة، فقد حوى أصول أهل السنة في العقيدة لا سيما في الأمور التي وقع فيها نزاع عند المتأخرين، وخالفوا فيها ما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم، وهذه سمة كلام السلف فإن كلام السلف قليل الألفاظ كثير الخيرات والبركات، فالعبارة من العالم السلفي قليلة، ولكن إذا تأملت فيها وجدت أنها حوت خيرا كثيرا، وعلما غزيرا بخلاف طريقة المتأخرين، فإنهم يكثرون الكلام، مع قلّة الفائدة إلا من رحم ربي.

الميزة الثانية: أنه رحمه الله عز وجل لم يذكر في هذا الكتاب إلا آية محكمة بينة، أو حديثا صحيحا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو أصلا سلفياً قد أجمع عليه السلف، ولم يذكر من الكلام إلا القليل، لم يذكر من الكلام ما يزيد على ما ذكرنا إلا القليل مما يزيد الفائدة.

وقد قال رحمه الله: تحريّت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة.

وذكر في موطن آخر أنه لم يذكر إلا ما أجمع عليه السلف.

وفعلا الشيخ رحمه الله تحرى ما في الكتاب والسنة حتى في الألفاظ، ولذلك سيمر بنا أنه عدل عن لفظ التأويل في الصفات إلى لفظ التحريف، تحرياً لما في الكتاب والسنة وما أجمع عليه السلف، وهذه ميز ة عظيمة للكتاب ، وقوّة عظمى له، فما فيه ما يمكن أن يُدافع وينازع إلا أن يظلم القلب والعياذ بالله، كلام الله المحكم البين كيف ينازع ويدافع ويرد بالأقوال والعقول المتفاوتة المضطربة المختلفة، صحيح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يرده المؤمن ويقول عقلي لا يقبل هذا والعقول متفاوتة مضطربة، ما أجمع عليه اهل القرون المفضلة كيف يرد؟

لا شك أن ما في هذ االكتاب قوي جدا وحجة ظاهرة قاطعة، قاصمة لحجج اهل الكلام.

الميزة الثالثة: أنه رحمه الله لم يذكر في الكتاب إلا ما أجمع عليه السلف، ما أجمع عليه أهل القرون الثلاثة المفضلة التي هي خير الأمة وفيها خير الأمة.

خير أمة النبي صلى الله عليه وسلم القرون الثلاثة المفضلة، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم:(خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم) وهذه القرون المفضلة فيها خير الأمة، فيها صلاح الأمة، فيها عزّة الأمة، ولا خير لمن بعدهم إلا بالرجوع إلى ماكانوا عليه، فهي عقيدة السلف أجمعين، ما في هذا الكتاب: عقيدة السلف أجمعين، لا يخالِف واحد منهم في حرف منها، عباراتهم المعروفة عنهم تدل على ذلك، وعجز المخالفين عن أن يأتوا بشيء عنهم يخالف ذلك برهان قطعي على أن هذه العقيدة هي عقيدة السلف أجمعين.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في المناظرة المشار إليها: ما جمعت إلى عقدية السلف الصالح جميعهم...إلى قوله: قلت مرات قد أمهلت كل من خالفني في شيء منها ثلاث سنين، فإن جاء فيها بحرف واحد عن القرون الثلاثة يخالف ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك.

أمهَل مخالفيه ثلاث سنين للبحث في كلام السلف الصالحين، قال: فمن جاءني بحرف واحد عن السلف يخالف ما كتبته فأنا أرجع عن ذلك، ولم يستطع أحد ولن يستطيع -إلا أن يكذب على السلف- أن يأتي بحرف واحد يخالف ما في هذا الكتاب

الميزة الرابعة: أنه رحمه الله عز وجل بيّن في الكتاب وبنى الكتاب على سمات أهل السنة والجماعة، بين في الكتاب سمات أهل السنة والجماعة، وبنى الكتاب على سمات أهل السنة والجماعة، وهي:

اليقين الجازم، فسمة أهل السنة في عقيدتهم اليقين الجازم، لا حيرة ولا اضطراب، ولا تردد ولا ارتياب، دلّ عليها القرآن دلالة بيّنة، والسنة دلالة محكمة، وأجمع عليها السلف، و وافقت الفطرة، فمن سمات أهل السنة اليقين الجازم، وهذا بيّنٌ في هذا الكتاب وبنيَ عليه الكتاب.

والسمة الثانية: **الاجتماع وعدم الافتراق**، فأهل السنة والجماعة مجتمعون في عقيدتهم، مجمعون عليها، لم يفترقوا فيها، وهذا بيّن مبيَّن في هذا الكتاب.

والسمة الثالثة: **الاتصال وعدم الانقطاع**، وهذه سمة لعقيدة أهل السنة والجماعة أنها: متصلة لم تنقطع يوما من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم أقول إلى يومنا هذا، فعقيدة أهل السنة والجماعة مسندة بالإسناد الصحيح متصلة يرثها الخلف عن

السلف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يخل منها زمن من أزمنة أمّة محمد صلى الله عليه وسلم، بخلاف غيرها فإنه لا يصل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، بل ينقطع، بل ولا يصل إلى القرون الثلاثة المفضلة.

كل ما خالف ما عليه السلف لا يصل إلى القرون الثلاثة المفضلة ولا يصل إلى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم، نقول لا يصل إلى القرون الثلاثة المفضلة: أما القرن الأول فجملة وأفرادا، وأما القرن الثاني والثالث فجملة، كل ما خالف ما عليه السلف في جميع أمورهم ينقطع دون هذه القرون.

وأما السمة الأخرى فهي: **الوسطية**، فأهل السنة والجماعة هم أهل الوسط في عقيدتهم ومنهجهم، الوسطية وعدم التطرف سمة أهل السنة والجماعة، وغيرهم لا بد أن يكون متطرفا إما في ذات اليمين أو ذات الشمال، وهذا في كل زمان، وفي كل مكان

والسمة التالية لأهل السنة والجماعة: **النجاة والظهور والنصرة**، النجاة في الدنيا: من الزلل، وفي الآخرة: من العذاب، والظهور: فعقيدة أهل السنة والجماعة ظاهرة باقية، والنصرة: فالله ناصرها وناصر أهلها لأن هذا من حفظ الدين، بل حفظ أصل الدين، والله عز وجل قد تكفل لأمة محمد صلى الله عليه وسلم بحفظ دينها.

الميزة الخامسة: أنه رحمه الله عز وجل جمع في الكتاب المسائل العظمى في العقيدة، والتي وقعت فيها مخالفات من المتأخرين لما كان عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم، فقد ذكر في الكتاب العقيدة مجملة، ثم ذكر أصول الاعتقاد في الأسماء والصفات، وعقيدةَ السلف في الأسماء والصفات، وهذا أكثر ما ورد في الرسالة لعظيم الحاجة إليه، وشدة الاختلاف فيه في زمنه رحمه الله وبعد ذلك لا شك أنه بقي ولا زلنا نحتاج إلى تلك الأصول، وذكر وسطية أهل السنة والجماعة بين الفرق، وذكر الإيمان باليوم الآخر، وذكر الإيمان بالقدر، وذكر أصولا عظيمة من أصول أهل السنة والجماعة تتعلق بثلاثة أمور عظيمة: **بحقيقة الإيمان، وبالصحابة، وبأولياء الله**، ذكر أصولا عظيمة لأهل السنة تتعلق بهذه الأمور الثلاثة، وذكر معالم طريقة أهل السنة والجماعة، ثم ختم بموعظة لأهل السنة والجماعة وبميزات لأهل السنة والجماعة، حيث ختم بالأخلاق التي يتميز أهل السنة والجماعة بالتخلق بها لله، وبذلها لأهلها المستحقين لها، فمن قرأ هذا الكتاب أو حفظ هذ الكتاب فقد جمع أصول العقيدة وضبط ما يحتاج إلى ضبط في معرفة عقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم.

هذه أمور رأيت أن أقدمها بين يدي كلامنا وشرحنا لهذا الكتاب، وهي أمور نافعة ويحتاجها طالب العلم، وتحفز النفس على العناية بهذا الكتاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إبتدأ شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله الرسالة بالبسملة، وذلك لوجوه ثلاثة:

الوجه الأول: امتثال أمر الله في قوله سبحانه وتعالى: [إقرأ باسم ربك الذي خلق]

اقرأ اباسم ربك الذي خلق، فأمر أن يُقرأ باسمه، والكتاب مؤلَّف ليُقرأ، فالقارئ يبتدأ القراءة باسم الله، ولذلك ابتدأ الشيخ الكتاب ببسم الله الرحمن الرحيم.

الوجه الثاني: اقتداءاً بخير كتاب، بكتاب الله سبحانه وتعالى، لأن كتاب الله مبدوء بالبسملة، أول ما في المصحف بسم الله الرحمن الرحيم، سواء قلنا إن البسملة آية من الفاتحة، أو قلنا: إنها آية منفصلة عن السور وهو الراجح، سواء هذا أو هذا ، فالمصحف مبدوء بالبسملة.

والوجه الثالث: الاقتداء بكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن العلماء قد استقرءوا كتب النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك وإلى الأنحاء فوجودها مبدوءة ببسم الله الرحمن الرحيم.

فكانت هذه الوجوه داعية العلماء إلى أن يستقر الأمر عندهم على البداءة في الكتب ببسم الله الرحمن الرحيم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله: معناها بالنسبة للكاتب: باسم الله أكتب.

وبالنسة للقارئ: باسم الله أقرأ.

وهذا التقدير أحسن من قول بعض أهل العلم: أقرأ باسم الله، أكتب باسم الله

لأن تقديم الاسم، أولا: عندما نقول باسم الله اكتب، هذا يدل على الحصر.
وثانيا: التبرك بالبداءة باسم الله سبحانه وتعالى.

وأيضا التقدير بما يناسب الحال أحسن من قول بعض أهل العلم أبتدئ، لأن أبتدئ لفظ عام، والخاص أولى من العام.

بسم الله أكتب

والله: اسم من أسماء الله عز وجل، والله هو المعبود المألوه المستحق للعبادة سبحانه وتعالى.

والرحمن: اسم من أسماء الله عز وجل، فهو سبحانه ذو الرحمة الواسعة التي وسعت رحمته كل شيء، وهذه السعة في الدنيا، فالله عز وجل وسعت رحمته كل شيء، وسعت المؤمن والكافر، والطائع والعاصي، وكل من في الدنيا وما في الدنيا، وسعته رحمة الله عز وجل.

والرحيم: اسم من أسماء الله عز وجل، فهو سبحانه ذو الرحمة الواصلة للمؤمنين به، في الدنيا والآخرة.

فالمؤمنون الموحدون مرحومون في الدنيا برحمة الله الواسعة التي تعمهم وغيرهم، وبرحمة الله الواصلة لهم دون غيرهم، ومختصون يوم القيامة برحمة الله سبحانه وتعالى، فلا يرحم الله يوم القيامة إلّا موحداً، وأما أهل الشرك فهم أهل الغضب وأهل العذاب المقيم، لا رحمة لهم ولا مغفرة.

إذن كما قال بعض أهل العلم: الرحمن: ذو الرحمة الواسعة.

والرحيم: ذو الرحمة الواصلة، فهي رحمة خاصة واصلة للمؤمنين.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا

هذا ثناء على الله سبحانه وتعالى بهذه النعمة العظمى والمنة الكبرى.

فقوله رحمه الله: الحمد، الحمد: هو الثناء على الله عز وجل مع كمال محبته وتعظيمه، فإن كُرر مرة ثانية كان ثناء، فإن زيد على ذلك كان تمجيدا، كما في الحديث أن العبد إذا قال: (**(الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِ الْعَالَمِينَ)** قال الله: حمدني عبدي، وإذا قال **(الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)** قال الله: أثنى علي عبدي، وإذا قال: **(مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)** قال الله: مجدني عبدي) رواه مسلم.

وعندما نقول: الحمد لله فمعنى هذا أن الحمد على وجه التمام لله عز وجل، وأن الحمد على كل شيء لله عز وجل، فالله ربنا محمود على كل شيء وعلى كل حال، محمود على وجه التمام على كماله سبحانه وتعالى، وعلى أفعاله، وعلى شرعه، وعلى قضائه وقدره سبحانه وتعالى، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم أصحابه أن يقولوا: الحمد لله على كل حال، فالحمد على وجه التمام إنما هو لله عز وجل.

ومن حُمد من المخلوقين على الجميل الاختياري فهذا ليس على وجه التمام، والحمد على كل حال وعلى كل شيء إنما هو لله سبحانه وتعالى، فهو المحمود على كل حال.

الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ:

أثنى شيخ الإسلام على الله بهذه النعمة العظمى والمنة الكبرى وهو مأخوذ من قول الله عز وجل (هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ؛ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا) فهذا مقتبس من الآية، بلفظ الآية.

أي: أنه سبحانه أنعم على أهل الأرض إلى قيام الساعة بإرسال محمد صلى الله عليه وسلم.

بِالْهُدَى: الذي هو: البيان الواضح والعلم النافع، الذي ينير الطريق، ويشرح الصدر، ويهدي من الضلالة، ويميّز الخير عن الشر، هذا معنى الهدى، أنه بيان واضح لا لبس فيه، وعلم نافع لا ضُرّ فيه، ينير الطريق، ويشرح الصدر، ويهدي من الضلالة، ويميّز الخير من الشر.

وَدِينِ الْحَقِّ: الذي هو الإسلام ولا يقبل الله ديناً سواه، أرسل الله نبيه صلى الله عليه وسلم داعيا الجن والإنس إليه إلى دينه سبحانه وتعالى، وهذا مناسب أن تفتتح به الرسالة، فإنّ ما فيها مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فما فيها من الهدى ودين الحق، وما خالفها ضلالة، ما خالف ما جاء فيها من العقائد ضلالة وباطل.

وهل هذه دعوى؟

لا والله، بل هو الحق المبين، لأن ما فيها كما قلنا: قول الله عز وجل المحكم البين، وصحيح حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه السلف، إذن ورب الكعبة هو الهدى في العقيدة، وهو دين الحق.

وما دام ذلك كذلك فإن ما خالفها ضلالة وانحراف عن دين الحق، وفي هذا خطاب للقلب، يا من صدقت برسول الله صلى الله عليه وسلم، وأحببت رسول الله صلى الله عليه وسلم، عليك بهذه العقيدة فإنها عقيدة محمد صلى الله عليه وسلم

لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ: أي: ليظهره على كل دين، وقد أظهره الله على كل دين.

واللام هنا: قال بعض أهل العلم: للتعليل، فالله عز وجل أرسله رسوله بالهدى ودين الحق من أجل أن يظهره على الدين كله، وقال بعض أهل العلم: اللام للعاقبة، أي أن العاقبة لهذا الدين، وأن الله سيظهره وينصر أهله.

وقد أظهره الله عز وجل على الدين كله علما وحكما ونصرا، الله أظهر دينه على الدين كله حكما وعلما ونصرا.

أما في الحكم: فإن الله عز وجل رفع به الأديان، ولا يقبل من أحد دينا بعد بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلا ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، فلا يسمع بمحمد صلى الله عليه وسلم يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن به إلا دخل النار، إلا كان كافرا، من أهل النار، فحكم الله عز وجل لهذا الدين بالظهور، على كل دين.

وأما علما: فإن الله أظهر دينه بالحجة والبيان، والدليل والبرهان، فهذا الدين ظاهر على كل دين، بما فيه من الحجة والبيان، والأدلة والبراهين.

وأما نصرًا: فقد أظهر الله هذا الدين على الأديان بالسيف والسِنان، فكان منصورا، ونُصر أهله على أهل الأديان عندما جاهد المسلمون لإعلاء كلمة الله لا لقتل الناس ولا لجمع الدنيا، وإنما كان قتالهم قتال طلب لإزالة من يمنع وصول الحق إلى الناس، ولذلك كان المشروع قبل قتال الطلب أن يُدعى الناس إلى الدين، فإن استجابوا كُفّ عنهم، فقتال الطلب لم يكن المقصود منه أن يُقتل غير المسلمين، ولا أن تُجمع الدنيا، وإنما كان المقصود منه أن يوصل الحق إلى الناس بإزالة الطغاة الذين يمنعون وصول الحق إلى الناس، وكانوا يجهادون جهاد الدفع لحفظ ديار المسلمين ودين المسلمين، فنصرهم الله، وأظهرهم الله، وملأ قلوب أعدائهم رعبا، وخوفا، ومهانة، فأظهر الله دينه حكما وعلما ونصرا.

وهذا أيضا مناسب لهذه الرسالة، لأن ما في هذه الرسالة من دين الله، فإذا كنت من أهل هذه العقيدة فاطمئن قلباً فإنها مظهَرة يظهرها الله عز وجل منصورة ومن يناوئها مخذول ولو كانت له جولة، فعليه الدولة، ولن تكون له نصرة مستقرة مستمرة، قد يبتلي الله أهل السنة بظهور أعدائهم ومخالفيهم لكن هذا البلاء لا يطول، ولا يستقر، ولا يدوم.

وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا: كفى بالله شهيدا على رسوله وعلى ما جاء به، وعلى من أُرسل إليهم رسوله صلى الله عليه وسلم.

فالله شهيد على رسوله أنه قد بلغ الرسالة وأدّى الأمانة وجاهد حق الجهاد، وما مات وفي الدين شيءٌ باقٍ لم يبيّنه صلى الله عليه وسلم، وشهيد على ما جاء به أنه الحق والدين، الحق المبين، والدين المتين، الذي لا يجوز العدول عنه.

وعلى من أُرسل إليهم رسوله من المصدقين أو المكذبين، فهو شهيد سبحانه على المصدقين، ومجازيهم بالإحسان، وشهيد على المكذبين ومجازيهم بما يستحقون.

وهذا أيضا مناسب للرسالة لهذا الكتاب فإن ما فيها حق، و اتباع للنبي صلى الله عليه وسلم فمن اعتقد ما فيها فالله شهيد عليه بالتصديق، وحسن الاتباع، ومجازيه بالإحسان في الدنيا والآخرة، وبهذا ترى براعة استهلال الشيخ رحمه الله عز وجل بما هو مناسب لهذا الكتاب.

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ؛ إِقْرَارًا بِهِ وَتَوْحِيدًا

أَشْهَدُ: معناها أقر بقلبي يقينا، وأنطق بلساني، عالما بالمعنى، قابلاً له، ومنقادا له، كل هذه المعاني تشملها كلمة أشهد، أقر بقلبي يقينا وأنطق بلساني، عالما بالمعنى، قابلا له، ومنقادا له.

وعُبّر عن هذه المعاني بكلمة أشهد: للدلالة على قوّة اليقين، كأن المقِرّ بهذا كالمشاهد للمحسوس، فكأن المقَرّ به مشاهَد له محسوس، يشهد عليه، كما يرى الشمس في رابعة النهار.

أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: أي أشهد أنه لا معبود بحق إلا الله.

وَحْدَهُ: توكيد لإفراد الله بالعبادة، الذي جاء في قوله لا إله إلا الله، فلا يستحق العبادة إلا الله، وكل عبادة لمن دونه ظلم لا حق فيها، ولا استحقاق للمعبودين في العبادة.

لَا شَرِيكَ لَهُ: توكيد للنفي، الوارد في قولك: لا إله إلا الله.

إِقْرَارًا بِهِ: هذا من معاني الشهادة، من معاني قولك: أشهد: أقرّ، إقرارا به.

وَتَوْحِيدًا: هذا أيضا من معاني الشهادة.

فقوله إقرارا به وتوحيداً هو معنى لا إله إلا الله، هو معنى لا إله إلا الله، فقوله إقرارا وتوحيدا: بيان للمعنى وتوكيد، فجاء باللفظ الذي هو مفتاح الإسلام ومفتاح الجنة، أشهد أن لا إله إلا الله، ثم جاء بأربع مؤكدات للمعنى، وحده، لا شريك له، إقرارا به، وتوحيدا.

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

أَشْهَدُ:كذلك معناها أقر بقلبي يقينا، وأنطق بلساني، عالما بالمعنى، قابلا له، ومناقدا له، أن محمدا عبده ورسوله، وهذا أفضل ما يوصف به النبي صلى الله عليه وسلم، أنه عبد الله ورسوله، فكونه عبد الله يعني أنه أكمل من عبد الله، والذل لله غاية العزّ، فمحمد صلى الله عليه وسلم أكمل وأعظم وأصدق وأحق من ذل لله، وعبد الله، وهذا في غاية المدح له صلى الله عليه وسلم، وهو رسول الله عبد شرفه الله بالرسالة، فهو عبد لا يُعبد ورسول لا يُكذب صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا امتثال لقول النبي صلى الله عليه وسلم :(إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله) رواه البخاري في الصحيح.

والشهادة لمحمد صلى الله عليه وسلم بالرسالة تعني: تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، واتباعه صلى الله عليه وسلم، والإقرار بأنه خاتم الأنبياء والمرسلين، فلا نبي بعده صلى الله عليه وسلم.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا مَزِيدًا

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: الصلاة من الله على العبد: الثناء عليه في الملأ الأعلى، وليست هذه خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، بل يثني الله على عباده في الملأ الأعلى، ولذلك من صلى على النبي صلى الله عليه وسلم صلى الله عليه بها عشرا، فيثني الله عليه بهذه الصلاة في الملأ الأعلى عشرا، وكلما زاد زاد الله ثناءاً عليه بهذه الصلاة، ويثني الله مثلا على المرابطين في المساجد ينتظرون الصلاة بعد الصلاة في الملأ الأعلى ويباهي بهم.

وَعَلَى آلِهِ: الآل تطلق على التابعين له صلى الله عليه وسلم، كل من صدق به وتبعه فهو من آله، وتطلق على أهل بيته، ولا مانع من إرادة الأمرين هنا.

لكن إذا قلنا الآل بمعنى التابعين: فيكون ذكر الصحب بعدها أو بعدهم من باب ذكر الخاص بعد العام، لأن الآل عام والصحب من التابعين للنبي صلى الله عليه وسلم فهو خاص.

وإذا قلنا إن الآل هم أهل بيته: فإنه يكون من باب ذكر العام بعد الخاص، لأن آل بتيه المقصودين بالترضي ابتداء هم من كان من صحابته من أهل بيته، فهم بعض الصحابة.

وَصَحْبِهِ:

الصاحب: من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك، ولو لم تطل صحبته ما دام لقي النبي صلى الله عليه وسلم وكان حال لقياه مؤمنا به ومات على ذلك فهو صحابي، أما من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مشركا ثم آمن به بعد ذلك فإنه ليس صحابيا.

فالصحابي من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنا به ومات على ذلك.

يقول العلماء: ولو تخلّلت ذلك ردة، فإن هذا لا يخرجه عن حد الصحبة ما دام أنه مات على الإسلام، ولو كانت الصحبة قليلة، لم تطل، فهو صحابي.

وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا: السلام هو: السلامة من الآفات في الدنيا والآخرة.

مَزِيدًا: قال بعض أهل العلم: أي: زائدا على الصلاة، يعني الصلاة ويزاد عليها السلام.

وقال بعض أهل العلم: مزيدا يعني كثيرا متتابعا، من الزيادة يتزايد يعني.

وهذه الجملة: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : خبرية بمعنى الطلب، صلى الله عليه يعني: صلِّ عليه: اللهم صل عليه.

وسلَّم: يعني اللهم سلِّمه تسلما مزيدا، أو سلم عليه تسليما مزيدا.